ISSN 2227-9202

مجلة

بحوث جامعة حلب

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

مجلة دورية محكمة تصدر عن جامعة حلب

العدد المائة لعام 2015

تاريخ النشر 2017

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

رئيس هيئة التحرير

أ.د.جورج جانجي

نائب رئيس جامعة حلب لشؤون البحث العلمي والدراسات العليا

مدير التحرير

أ.د. يحيى فريد – أ.د.أحمد زياد محبك

هيئة التحرير

د. منذر عبسي	د. عيسى العاكوب	د. سعد الدين كليب
د. محمد تمام الأيوبي	د نهلة حوكان	د زبيدة القاضي
د. ابراهيم اليماني	د. حليم أسمر	د. أحمد ياسوف

التنضيد والاخراج

م. رامة ملقي

ماورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو سياسة جامعة حلب

المحتوى

د. محمد حسن عبد المحسن كمال الرفدي	المعادل الموضوعي عند الشاعر نزار قباني (قصائد إسبانية) أنموذجاً	13
د. مروان دويعر د. عبدالله قدور	قلق المستقبل لدى عينة من الراشدين في مدينة حلب في ضوء بعض المتغيرات	27
د. أمين طربوش يوسف حامشلي	تدهور الغابات الطبيعية في إقليم الساحل والجبال الساحلية السورية	49
د. عيسى العاكوب أحمد العبد الله	بلاغةُ الالتفاتِ في شِعْرِ بشّار بن بُرد	69
د. سعد الدّين كليب بتول دراو	في الحداثة الغربيّة	87
د. بتول دحدوح	الخطاب السياسي عند عمر بن عبد العزيز (القيم السياسية)	101
د. علي موسى مراح عثمان	دراسة العاصفة المطرية التي ضربت الساحل السوري خلال الفترة (9-2015/2/13) وآثارها البيئية.	125
د. سعد الدين كليب ثناء المحمّد	الصّوت المفرد في شعر الحداثة في سورية	147
د. فاروق اسليم عبد الله تريسي	صفات (المقطع) في النقد الأدبيّ العربيّ القديم	163
علاء خطيب	عوامل الإبداع في شعر أبي تمّام	185
د. سعد الدين كليب ثناء المحمّد	المجاز في شعر الحداثة في سورية	209
د. علي موسى رؤى ناشد	الخصائص المناخية لأمطار فصل الربيع في إقليم الجزيرة والفرات السوري	223
د. أحلام ياسين	قيم التوعية والتعليم في برامج التنمية للمرأة الريفية في ضوء مفهوم التنمية المستدامة "دراسة ميدانية تحليلية في المنطقة الساحلية"	241
د. محمد الطاغوس عبير حمامي	الأثر الكانطي في فينومينولوجيا هوسرل	261
د. ناديا حسكور فادي موسى	مفهوم الاستئناف عند البلاغيين	279

روى بابللي	مـدى وعـي الشـباب الجـامعي بالنفايـات الإلكترونيـة وأضرارها دراسة ميدانية في جامعة حلب	301
د مروان رضوان إبراهيم أوزون	تـأثير الصـوائت فـي زمـن بـدء الجهـر لـدى الطلبـة السوريين متعلمي اللغة الإنكليزية بوصفها لغة أجنبية	321
د. جهاد سلوم د. عصام دلال باشي جوزيف أورفه لي	نظـرة بانوراميـة علـى مجـال عِلْـم المعلوماتيّة:مقاربـة نظرية	323
د. عصام دلال باشي د. يحيى نجار منار العمران	أنـواع الأخطـاء الظـاهرة و نسـب الميل إلـى تكرارهـا فـي نمطـين حـوارين الكتـرونيين : منتـديات الحـوار و المجموعات على الفيس بوك	325
د. عبدالقادر عبدالقادر أحمد عقاد	الاختلافـات المتعلقـة بجـنس المتحـدث فـي اسـتخدام "تعـابير المقاربـة" و "ظـروف تشـديد المعنـى" مـن قبـل متعلمـي الإنكليزيـة بوصـفها لغـة أجنبيـة فـي المعهـد العالي للغات في جامعة حلب	327

صفات (المقطع) في النقد الأدبيّ العربيّ القديم

فاروق اسليم، عبد الله تريسي*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب

* طالب دراسات عليا (دكتوراه)

الملخّص

المقطعُ مصطلحٌ متعدِّدُ الدلالات في النقد الأدبيّ العربيّ القديم، وهو اسمُ مكانٍ من (القَطْع)، وجرثومةُ المعنى فيه الدّلالةُ على آخر الشَّيء. وقد استعمله النُّقاد القدماء لأواخر التّراكيب اللُّغويّة، فسمَّوْا به الحرفَ الأخيرَ من الكلمة، والكلمةَ الأخيرةَ من جملةٍ أو تركيبٍ دونَ البيت، وما ينتهي به جزءٌ من الكلام المنثور أكبرُ من الجملة، والكلمةَ الأخيرةَ في البيت، والبيتَ الأخيرَ من القصيدة. والمعنى المرادُ في هذا البحث هو البيتُ الأخيرُ من القصيدة، أو الفكرة الأخيرة فيها وإن كانت في أكثر من بيت.

ويتناول هذا البحثُ قضيةً واحدةً مِن قضايا (المقطع) على هذا المعنى، هي الصِّفاتُ المطلوبةُ في المقاطع التي على الشُّعراء أن يتحرَّوها، وما ينبغي أن يحترز منه الشعراء في مقاطعهم ويتجنّبوه.

وعلى هذا فإنّ هذا البحث ينقسم قسمين رئيسين هما:

أولًا: صفات المقطع.

ثانيًا: ما ينبغي أن يُحترز منه في المقاطع.

الكلمات المفتاحية: صفات المقطع، النّقد الأدبيّ العربيّ القديم.

ورد البحث للمجلة بتاريخ ا 2015/9/17م

قُبل للنشر بتاريخ ا 2015/10/28م

مقدّمة:

يُعدُّ (المَقْطَعُ) على المعنى الذي اخترناه له –أي: البيت الأخير من القصيدة، أو الفكرة الأخيرة فيها وإن كانت في أكثر من بيت– جزءًا مهمًّا من أجزاء القصيدة، تكمن أهمّيّته في ختاميّته، وفي أنّه أحد معاقد القصيدة الثلاث: المطلع والمخلص والخاتمة، ودراستُه دراسةٌ لمفهوم اتّحاد عناصر القصيدة والتحام بعضها ببعض. وقد عدَّ بعضُ القدماء قاعدةَ القصيدة، وقُفلًا عليها، وذكروا له جملةً من الصِّفات التي ينبغي أن يتَّصف بها على سبيل الوجوب أو الاستحسان، حتَّى يتحقَّق له ما هو أصلٌ فيه ، بأن يكون قُفْلًا لقصيدته، وموافقًا لسامعه، وزينةً في نصِّه. وسنتناول في هذا البحث بعضَ ما يُطلبُ في المقطع من الصّفات، ثمَّ نعرض بعد ذلك بعض ما يجب أن يُحترز منه فيه.

وتحسُنُ الإشارةُ هنا إلى أنَّ قيام النَّقد الأدبيّ العربيّ القديم في جانبٍ منه على الذائقة الفرديَّة جعل بعض الصِّفات تتنازع بعض المقاييس، فنجد بعض المقاييس يكون للجودة والحسن معًا – على سبيل المثال– وبعضَ الشواهد كذلك. وسنشير إلى بعضِ ما يَعْرِضُ من ذلك في مواطنه.

أوّلًا: صفات المقاطع:

1– الجودة:

الجودة معنًى بسيط غير مركَّب، قائم بنفسه، يُفسَّر به غيرُه ولا يُفسَّر. وجرثومة المعنى فيه أنَّه نقيض الرَّداءة[1]. وقد وردت الجودة بهذا المعنى في كتب النقد القديم، ومثالُها أنَّ قدامة بن جعفر (–337هـ) جعل العلم بالشِّعر أقسامًا، منها علم جيِّده ورديئه، وقال عنه: «ولم أجد أحدًا وضع في نقد الشِّعر وتخليص جيِّده من رديئه كتابًا»[2].

1 – لا نجد في معاجم العربيّة معنى للجودة غير هذا. يُنظر: لسان العرب، 411/2، و: القاموس المحيط، ص 350، و: تاج العروس، 526/7–527. ويُنظر أيضًا: معجم مصطلحات النقد العربيّ القديم، ص 203، و: المصطلح النقدي في "نقد الشِّعر"، ص 121.

2 – نقد الشّعر، ص 13.

والجودة من أقدم معايير النقد القديم، وأكثرها استعمالًا، لكن ليس في النُّقّاد القدماء مَن وضع تعريفًا أو رسم حدودًا لها، بل تكلَّم عليها بعضهم وضمّنوا كلامهم مقاييسَ لها، وإشاراتٍ نقديَّةً فيها استحسانٌ لأمورٍ في الشِّعر تؤدّي به إليها، «وفهموها فهمًا يتفاوت في الدِّقَّة والوضوح من ناقدٍ لآخر، وهذا الاختلاف في الفهم ناتجٌ.. عن اختلاف المقاييس المعتمدة في تحديدها»[1]. لذلك فإنَّ الجودة عند القدماء ليست شيئًا واحدًا خالصًا وإنْ فُسّرت بنقيض الرّداءة، وإنَّما هي جملة أمورٍ وصفاتٍ يجب اجتماعها في الشِّعر حتى يوصف بها، يُرى هذا في قول قدامة بن جعفر (–337هـ): «فلنذكر صفات الشِّعر التي إذا اجتمعت فيه كان في غاية الجودة»[2]، وفي قول الآمديّ (–370هـ): «إذ كان الشِّعر لا يُحكم له بالجودة إلّا بأن تجتمع هذه الخِلال فيه»[3]، وهو يريد حُسن الوزن والقوافي، ودقّة المعاني، واستواء النَّظم، وصحَّة السَّبك، ووَضْعَ الكَلِم في مواضعها، وكثرة الماء والرَّونق. وفي قول أبي هلال (–395هـ): «إنَّ الكلام إذا كان لفظُه حلوًا عذبًا، وسلسًا سهلًا، ومعناه وسَطًا، دخل في جملة الجيِّد»[4]، وفي غيرها من الأقوال التي تصرِّحُ بتكوُّنِ الجودة من عدّة أمور وعدم اقتصارها على جانب واحدٍ أو سمة معيَّنة.

وصفة الجودة أوَّل صفةٍ نجدها في كلام النُّقّاد القدماء على المقطع؛ إذ جاءت في الإشارات النَّقديَّة الأولى التي ذكرت المقطع، وفيما تلاها من الأقوال. فمن الإشاراتِ قولُ شَبيبِ بنِ شَيْبَة (– نحو 170هـ): «الناس موكَّلون بتعظيم جودة الابتداء وبمدح صاحبه، وأنا موكَّل بتعظيم جودة القَطع وبمدح صاحبه»[5]. وقولُ أبي عبيدة (–209هـ): «وقال مَنْ فَضَّلَ النابغة: هو أوضحُهُم كلامًا، وأقلُّهم منطقًا وحَشْوًا، وأجودهم مَقاطع، وأحسنُهم مطالع»[6]. وممّا يُلْمَحُ في هذه الإشارات المتقدِّمة

1 – المصطلح النقدي في (نقد الشِّعر)، ص 120.

2 – نقد الشّعر، ص 16.

3 – الموازنة بين أبي تمّام والبحتري، 413/1.

4 – كتاب الصّناعتين، ص 65.

5 – البيان والتبيين، 112/1.

6 – كتاب الدّيباج، ص 4.

أنَّ الجودة كانت من أقدم المعايير النَّقديَّة في حسبان النُّقاد القدماء، ونخصُّ المتقدِّمين منهم من أهل القرن الثاني الهجري، الذي كانت تطغى فيه النَّزعة الذَّاتيَّة في النَّقد على النَّزعة العلميَّة المنهجيَّة.

ثمَّ تأتي بعد هذه الإشارات أقوالٌ نقديّة صريحةٌ في طلب الإجادة في المقطع، منها قولُ أبي هلال (-395هـ): «فينبغي أن يكون آخرُ بيتٍ في قصيدتكَ أجودَ بيتٍ فيها»[1]، وقولُ أحدهم في وَصْفِ أحذق الشعراء: «مَن أجاد الابتداء والمقطع»[2].

وقد ذكرَ النُّقّادُ القدماءُ من مقاييس جودة (المقطع) جملةَ أمورٍ نستنبطها من أقوالهم التي ذكروا فيها الجودةَ صفةً للمقطع، منها ما يعود إلى المعنى، ومنها ما يعود إلى اللَّفظ.

1/1- فممّا هو عائدٌ إلى المعنى مناسبة المقطع لغرض القصيدة، وموافقة المعنى الذي فيه للمعاني المتقدِّمة فيها، وجمعُه بينها. وقد عُدَّت المناسبة سببًا للجودة لأنّها تدلُّ على اتِّصال نَسَجِ الشَّاعر في القصيدة إلى مقطعها، وعلى أخذه بمجامع المعاني فيها كلِّها، وعلى انتظام سَبْك القصيدة وتلاحم أجزائها، وتحقيقها وَحْدَةَ الإفراغ على ما يرى النُّقّاد القدماء.

وهذا المقياس أشار إليه أبو هلال العسكريُّ في قوله فيما ينبغي أن يكون عليه المقطع: «فينبغي أن يكون آخرُ بيتٍ في قصيدتكَ أجودَ بيتٍ فيها، وأدخلَ في المعنى الذي قصدتَ له في نظمها»[3]، واستشهد له بمقطع قصيدة ابن الزِّبَعْرى التي يعتذر فيها إلى النبيِّ ﷺ:

فخُذِ الفَضيلةَ عَنْ ذُنوبٍ قد خَلَتْ واقبلْ تضرُّعَ مُستَضِيفٍ تائبِ[4]

ومحلُّ الجودة في هذا المقطع عند أبي هلال أنَّ ابن الزِّبَعرى جعله داخلًا في

1 - كتاب الصّناعتين، ص 464.

2 - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص 190. وهذا الوصف نقله ابن الأثير ولم يسمّ صاحبه، لذلك قلنا: «أحدهم».

3 - كتاب الصّناعتين، ص 464.

4 - المصدر السابق، ص 464. ولم نجد البيت في شعر عبد الله بن الزِّبعرى الذي صنعه له الدكتور يحيى الجبوري.

مضمون قصيدته، وفي الغرض الذي قالها فيه، إذ جعل ابن الزِّبَعرى نفسَه في هذا المقطع «مستضيفًا»، ومن حقِّ المستضيف أن يُضاف، وإذا أُضيف فمن حقِّه أن يُصان. وذكَرَ تضرُّعَهُ وتوبته ممّا سلف، وجَعَلَ العفوَ عنه مع هذه الأحوال فضيلةً. فجَمَعَ في هذا البيت جميعَ ما يُحتاج إليه في طلب العفو»[1]. فأتى بما يوافق ما بنى عليه قصيدته من الاعتذار وطلب العفو.

واستشهد أبو هلالٍ أيضًا للمقطع الجيِّد بقول الشَّنفرى:

وإنّي لَحُلوٌ إنْ أُريدَتْ حلاوَتي ... ومُرٌّ إذا نَفْسُ العَزُوفِ أَمَرَّتِ

أَبِيٌّ لِما آبَى، قَريبٌ مَقادَتي ... إلى كلِّ نفسٍ تَنْتَحي في مَسرّتي[2]

ووَصَفَ هذين البيتين بأنَّهما «أجودُ ما فَخَرَ به من هذه القصيدة»[3]. وقصيدةُ الشنفرى هذه في الفخر بالذّات، أو الجماعة، أي الصعاليك، ومقطعُها على مثل معناها، فهو موافقٌ لغرضها، إلّا أن معاني الفخر فيه أبلغ ممّا في متن القصيدة.

2/1- وممّا هو عائدٌ إلى اللَّفظ من مقاييس الجودة، صفاء الألفاظ. وقد استشهد لذلك أبو هلال بقول تأبَّط شرًّا:

لَيَفْرَعَنَّ عَلَيَّ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ ... إذا تذكَّرْتَ يومًا بَعْضَ أخلاقي[4]

إذ قال فيه: «هذا البيت أجودُ بيتٍ في هذه القصيدة؛ لصفاء لفظه وحُسن معناه»[5]. فمكمن الجودة في هذا المقطع عند أبي هلالٍ صفاءُ اللفظ وحُسن المعنى، وهما من مقاييس الجودة لأنَّهما ينفيان عن الشِّعر الرَّداءة.

2- الإحكام:

الإحكام هو الإتقان ومنع الفساد، والعلم بدقائق الأشياء. وفيه أيضًا معنى

1 - كتاب الصّناعتين، ص 464.

2 - شعر الشنفرى الأزدي، ص 83. **العَزوف:** المنصرف عن الشّيء. **أمَرَّت: استمرَّت:** تصنَّعَتِ المرارةَ وتلبَّسَتْها. **المَبَاءة:** الرُّجوع. **تنتحي في مسرَّتي:** تقصد إلى ما يسرّني.

3 - كتاب الصّناعتين، ص 465.

4 - ديوان تأبَّطَ شرًّا وأخباره، ص 144.

5 - كتاب الصّناعتين، ص 464.

التَّمام وبلوغ النِّهاية[1]. والإحكام في الشِّعر: إتقانه، واستيفاء المعاني فيه، وحسنُ الوصف، وسلاسةُ الألفاظ، وخروجُه خروجَ النَّثر سهولة وانتظامًا[2].

وقد ذُكِرَ الإحكامُ صفةً للمقاطع في قول أبي الفرج الأصفهاني (-356هـ) وهو يذكر اختيار قصائده: «ويدلُّ على ذلك تبايُنُ ما بين الأصوات التي ذَكَرَها والأصواتِ الأُخَرِ في جَودة الصَّنْعة وإتقانها، وإحكام مباديها ومقاطِعِها...»[3].

كما ذكره ابن رشيق القيروانيّ (-456هـ) في معرض كلامه على تعريف الانتهاء، فبعد أن وصفه بأنَّه «قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع» قال: «وسبيلُه أن يكون مُحْكمًا لا تمكنُ الزِّيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسنُ منه. وإذا كان أوَّل الشِّعر مفتاحًا له وَجَبَ أن يكون الآخِر قُفْلًا عليه»[4].

وفي قول ابن رشيقٍ مقياسان للإحكام: أوَّلُهما: ألّا يُمكِنَ الزِّيادة على المقطع، بأن يكون كالقول الفصل في الأمر، فلا يترك لشيءٍ بعده مزيدًا عليه. وثانيهما: أن يبلغ الغاية في الحُسْن، فلا يكون في نفس السَّامع -بعد أن سمع القصيدةَ وما فيها- انتظارٌ لِما هو أحسن من المقطع. وهذان المقياسان هما سبيلُ كون المقطع قُفْلًا للشِّعر على ما يرى ابن رشيق، وموصِلان إليه؛ ذلك أنَّ الشَّيء إذا بلغ النِّهاية في الإتقان والحسن صار كالقُفلِ على ما بعده، يمنعُه ويردُّ عنه.

والإحكام على هذا قيمةٌ نقديَّةٌ تربو على غيرها من الصِّفات الأخرى، كالجودة والحُسنِ والحلاوة؛ لأنَّها تحوزُها كلَّها، ولا يبلغ المقطعُ درجة الإحكام إلّا بأن تتعدَّد الصِّفات الإيجابيَّة فيه، فلا تكفي واحدةٌ منها.

3- الحلاوة:

تفيد الحلاوة في الكلام -وفي الشِّعر خاصَّة- ما تفيده في أصل معناها

1 - يُنظر مادّة (حكم) في: لسان العرب، 270/3-272، و: القاموس المحيط، ص 1415، و: تاج العروس، 513/31-514، و: المعجم الوسيط، ص 197.

2 - عيار الشِّعر، ص 82. ويُنظر: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ص 84 و359.

3 - ينظر: الأغاني، (دار الكتب) 9/1.

4 - العمدة في صناعة الشِّعر ونقده، 378/1.

اللُّغويّ، من الحسن واللَّذَّة والتَّزيين[1]. وأكثر ما يعدل هذه المعاني عند النُّقَّاد العذوبة والسَّلاسة. فحلاوةُ اللَّفظ عندهم «سهولته وجماله، واستساغة الذَّوق له»[2]، والكلام الحلو هو «العذب المسهَّل، ذو الألفاظ السَّلسة التي تجري على اللِّسان عذبةً مستساغةً خاليةً من عيوب الفصاحة. والحلاوة تكون في الأغلب الأعمِّ صفةً للَّفظ وللكلام»[3].

وقد أشار ابن طباطبا (–322هـ) إلى حلاوة المقاطع في كلامه على أدوات الشِّعر التي يجب إعدادها قبل مَرامه، والتي كان قد ذكر منها سلوك مناهج العرب في أشياء، منها حُسْنُ المبادئ وحلاوةُ المقاطع[4]. وذكر الحلاوة من صفات المقطع أسامة بن منقذ (–584هـ) في قوله: «وكذلك ينبغي أن تكون أواخرُ القصائد حلوةَ المقاطع، توقن النفسُ بأنَّه آخر القصيدة؛ لئلا يكون كالبتر»[5]. واستشهد للمقطع الحلو ببيت تأبَّط شرًّا: (لتقرعَنَّ عليَّ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ)، الذي عدَّه أبو هلالٍ جيِّدًا[6]. وتبعه ضياء الدِّين ابن الأثير (–637هـ) فقال: «ويستحبُّ أن يكون خاتمة القصيدة حُلْوًا يُؤذِنُ النَّفسَ بانقضائها؛ لئلّا تكون كالبتراء»[7]. ومدار الحلاوة عندهما أن يكون المقطع ممتازًا عمّا سبقه بإشعاره السَّامع بأنَّه آخر القصيدة. وهذا من مقاييس الحُسن كما سيمرُّ بنا[8].

1 – يُنظر: المصطلح النقدي في (نقد الشِّعر)، ص 150. ويُنظر هذه المعاني أو بعضها في: لسان العرب، 308/3–312، مادة (حلو)، و: القاموس المحيط، ص 1646–1647، و: تاج العروس، 459/37.

2 – معجم مصطلحات النقد العربيّ القديم، ص 213.

3 – المصطلح النقدي في (نقد الشِّعر)، ص 150–151.

4 – يُنظر: عيار الشِّعر، ص 6.

5 – البديع في نقد الشعر، ص 287.

6 – هذا من المواطن التي تتداخل فيها صفات المقطع وشواهده، لاختلاف مقاييس النُّقّاد المعتمِدة على الذَّائقة الذَّائقة الفرديَّة.

7 – كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، ص 53.

8 – هذا أيضًا من المواطن التي تتداخل فيها صفات المقطع وشواهده.

4- الحُسْن:

الحُسنُ هو الجمال، ضدُّ القبح، ونقيضه[1]. وليس في معاجم اللُّغة معنًى غيره؛ لاشتهاره؛ وعدم حاجته إلى توضيح.

وهو من نعوت اللَّفظ والمعنى عند القدماء. وهو مصطلحٌ عامٌّ في مدلوله، مَرِنٌ في استعماله؛ لأنَّ بعض النُّقَّاد يستعمله بمعنًى قريبٍ من معنى (الجَودة)، ومظاهرُ تكاد تكون مظاهرَ الجودة نفسها[2].

وصفة الحُسنِ أكثر ما جرت به أقلام النُّقَّاد القدماء من صفات المقطع؛ إذ نراه في عددٍ من أقوالهم يفوق ما ذكروا فيه الصفات الأخرى. فقد جاء الحُسن في رأي القاضي الجرجانيّ (-366هـ) أنَّ على الشّاعر الحاذق أن يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلُّص والخاتمة[3]. وفي قول الحاتميّ (-388هـ): «من سبيل الشَّاعرِ أن يَتحرَّى لقصيدتِه أحسنَ الابتداء كما يتحرَّى لها أحسنَ الانتهاء عندَ بلوغ حاجتِه...»[4]. وفي قول ابن أبي الإصبع (-654هـ): «يجب على الشَّاعر والنَّاثر أن أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة»[5]. وفي قول حازم القرطاجنِّي (-684هـ): «فأمّا ما يجب في المقاطع... فأن يُتحرَّى أن يكون ما وقع فيها من الكلام كأحسن ما اندرج في حشو القصيدة...»[6]. وفي غيرها.

غير أنَّ هذه الأقوال لا تذكر مظاهر الحُسن التي يكون بها الشيءُ حَسَنًا، أو التي على الشَّاعر أن يأتي بها في مقطعه حتَّى يكون حَسَنًا. لكنَّ أقوالًا أخرى غيرها -في كتب النُّقّاد وكتب البلاغيّين المتأخِّرين- تشير إلى بعض مظاهر الحسن المطلوبة في المقاطع، منها ما يكون في اللَّفظ، ومنها ما يكون في المعنى، ومنها ما

1 - يُنظر: لسان العرب، 177/3، مادة (حسن). و: القاموس المحيط، ص 1535، و: تاج العروس، 418/34، و: المصطلح النقدي في (نقد الشِّعر)، ص 139-140.

2 - يُنظر: المصطلح النقدي في (نقد الشِّعر)، ص 143.

3 - يُنظر: الوساطة بين المتنبّي وخصومه، ص 48.

4 - الرِّسالة الموضِحة، ص 67.

5 - تحرير التَّحبير، ص 616. ويُنظر: بديع القرآن، ص 343.

6 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 285.

يكون من طبيعة العمليَّة الإبداعيَّة وما فيها من إنشادٍ وتلقٍّ.

1/4- فأمّا ما يكون منها في اللَّفظ فهو رشاقة الألفاظ وحلاوتُها وعذوبتُها، وجزالة التأليف وتناسبُه:

وهذه ذكرها ابن أبي الإصبع (-654هـ) في قوله: «يجب على الشَّاعر والنَّاثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة... فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونُضجِها وحلاوتها وجزالتِها»[1]. وحازمٌ القرطاجنِّي (-684هـ) في قوله: «وينبغي أن يكون اللَّفظُ فيه[2] مستعذبًا، والتّأليف جزلًا متناسبًا»[3]. وكذلك ذكرها أيضًا بدر الدّين، ابن مالك (-686هـ)[4]، في (المصباح) بعبارة: «فليجتهد في نُضجِها وحلاوتها وفي قوَّتِها وجزالتِها»[5].

وتجدها أيضًا في تعليق العلويّ (-749هـ) على مقطعٍ لأبي تمّام يمدح فيه المعتصم يوم عمّوريّة:

إنْ كانَ بينَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ ... مَوصولةٍ أو ذِمامٍ غيرِ مُنْتَضِبِ

فبَيْنَ أيّامِكَ اللّاتي نُصِرْتَ بِها ... وبينَ أيّامِ بدرٍ أقربُ النَّسَبِ

أبقَتْ بني الأصفرِ المِمْراضِ كاسْمهِمِ ... صُفْرَ الوُجُوهِ وَجَلَّتْ أوجُهُ العَرَبِ[6]

العَـــــــــــــــــــرَبِ[6]

إذ قال فيه: «فهذه خاتمةٌ تُرى على وجهِها الطّلاوة، وعُصارة الرَّشاقة»[7]. فقد رأى العلويّ هذا المقطع حسنًا لِما في ألفاظه من طلاوة ورشاقة.

2/4- وأمّا ما يكون من صفات الحُسن في المعنى فهو الإيذان بانتهاء الكلام: وهذا أهمُّ من صاحبه؛ لأنَّه العمدة في القَطع. وقيمتُهُ أنَّه لَمّا كانت غاية

1 - تحرير التَّحبير، ص 616. ومثله بحرفه تقريبًا: بديع القرآن، ص 343.

2 - أي في الاختتام. وهو من مرادفات (المقطع).

3 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 306.

4 - هو ابن صاحب الألفيَّة، واسمه محمد، كاسم أبيه. و(بدر الدّين) لقب له.

5 - المصباح، ص 273.

6 - ديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التّبريزي، 73/1.

7 - الطِّراز، 186/3-187.

المقطع أن يَختمَ ما قبله بكمال دلالته على المراد، فيكونَ بذلك قفلًا عليه، وجبَ أن يكون فيه ما يُشعر به لفظًا أو معنى، كأن يضمَّنَ المقطعُ لفظ (الختم) أو (الانتهاء) أو (الكمال) ونحوها، أو يكون في مدلوله ما يفيد عُرفًا أنَّه يكون آخر الكلام ولا شيء بعده[1].

وقد ذكر ابن مالك (–686هـ) في تتمّة قوله السَّابق تضمينَ الخاتمة معنى إنهاء الكلام، فقال متابعًا: «مع تضمينِها لمعنًى تامٍّ يؤذِنُ السَّامعَ بانتهاء كلامه»[2]، واستشهد بمقطع المتنبِّي:

قَدْ شرَّفَ اللهُ أرضًا أنتَ ساكنُها وشرَّفَ النّاس إذ سوّاكَ إنسانا[3]

وقال فيه: «فذيَّل بما يقتضي تقرير كلِّ [ما] مدح به ممدوحه، فعلم أنَّه قد انتهى كلامُه ولم يبق للنَّفس تشوُّفٌ إلى ما وراءه»[4].

وذَكَرَ الإيذانَ بانتهاء الكلام القزوينيُّ (–739هـ) في (التَّلخيص)، في كلامه على جملة ما ينبغي للمتكلِّم أن يتأنَّق فيه، من الابتداء والتخلُّص والانتهاء، فلمَّا ذكر الانتهاء قال: «وأحسنُهُ ما آذَنَ بانتهاء الكلام»[5]، وقال قريبًا منه في (الإيضاح)[6].

وأمّا العلويُّ (–749هـ) فقد سمّى الصِّنف الرابع والثلاثين من كتابه (الطّراز) باسم (الاختتام)، وقال فيه: «فينبغي لكلِّ بليغٍ أن يختم كلامه –في أيِّ مقصدٍ كان– بأحسن الخواتم... وينبغي تضمينها[7] معنًى تامًّا يؤذن السَّامعَ بأنَّه الغايةُ والمقصدُ والنِّهاية...»[8]. واستشهد أيضًا بمقطع المتنبّي السَّابق، وقال فيه: «فهذه الخاتمة إذا

1 – يُنظر: معجم البلاغة العربية، ص 69.

2 – المصباح، ص 273.

3 – شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، 361/4.

4 – المصباح، ص 273. والعبارة في الأصل: «فذيَّل بما يقتضي تقرير كلِّ مدحٍ به ممدوحه»، وهي على هذا هذا فيها اضطراب واضح، ولعلَّ تصويبها إضافة (ما) كما فعلنا.

5 – التلخيص في علوم البلاغة، ص 435. وشروح التَّلخيص كلُّها تذكره. يُنظر: المطوَّل على التلخيص، ص ص 481. و: شروح التلخيص (التفتازاني والمغربي والسُّبكي)، 544/4. و: شرح التلخيص للبابرتي، ص 713.

6 – يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 599.

7 – أي الخاتمة.

8 – الطِّراز، 183/3.

قرعَتْ سمع السَّامع عَرَفَ بها أنْ لا مطمَعَ وراءها، ولا غايةَ بعدها، وهي الغاية المقصودة، والبُغْية المطلوبة، وبها يُعلم انتهاء الكلام وقطعُه»[1]. فحُسن مقطع المتنبّي عائدٌ إلى إيذانه السّامعَ الممدوحَ بانقضاء القصيدة، وذلك بإشباع نفسيَّتِه التَّائقة للمدح بمعنًى هو أقوى من سابقه، وأغلق عليه.

ومن الأغراض التي تُشعر بانتهاء الكلام الدُّعاءُ للممدوح بالخير، بأيّ معنًى كان. ومثل هذا مقطع المتنبّي السابق الذكر، ومقطعٌ لأبي نواس يمدح فيه الأمين بقوله:

فَسَلِمْتَ للأمرِ الذي تُرجى لَهُ وتَقَاعَسَتْ عنْ يومِكَ الأيّامُ[2]

فقد رأى ابن حمزة العلويّ (–749هـ) هذا المقطع حسنًا لِما فيه من الدّعاء، ولِما في الدُّعاء من إيذان السَّامع بانقضاء الكلام، فقال: «فانظر إلى حُسن هذه الخاتمة كيف تضمَّنت الدُّعاء بالبقاء مع نهاية المدح والإعظام لحاله. وغاية حُسْنِ الخاتمة أن يعرف السَّامع انقضاء القصيدة وكمالها، فهذه علامة حسنها ورونقها»[3].

3/4– ومن صفات الحسن ما يعود إلى طبيعة العمليَّة الإبداعيَّة وما فيها من موافقة حال المتلقّي، بمراعاة ما يكون عليه من أحوال السُّرور أو الحبور، ومناسبة ما يكون عليه السَّامع من الأحوال النَّفسيَّة والمواطن الانفعاليَّة. ومراعاةُ السَّامعِ عمدةُ أحكام المطالع والمقاطع جميعًا عند النُّقّاد القدماء، كما هو ظاهر.

وفي هذا المعنى يقول حازمٌ القرطاجنِّي (–684هـ) في معرض كلامِه على ما يجب أن يكون عليه المقطع: «فأمّا الاختتام فينبغي أن يكون بمعانٍ سارَّةٍ فيما تُصِد به التَّهاني والمديح، وبمعانٍ مُؤْسِيةٍ فيما تُصد به التعازي والرِّثاء. وكذلك يكون الاختتام في كلِّ غرضٍ بما يناسبه... فإنَّ النَّفس عند منقطَعِ الكلام تكون متفرِّغةً لتفقُّد ما وقع فيه، غيرَ مُشتغِلة باستئناف شيءٍ آخر»[4].

1 – الطِّراز، 3/185–186.

2 – ديوان أبي نواس، ص 620. وفي (الطِّراز): يمدح المأمون.

3 – الطِّراز، 3/186.

4 – منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 306.

وليس في كلام حازمٍ هذا ما يفيد أنَّ مراعاة السَّامع شيءٌ من حُسن الشِّعر، لكنَّنا نجد ذلك في كلام نقَّاد آخرين عدُّوا مراعاة السَّامعِ وأحوالِ المواقف من بواعث حُسنِ الشِّعرِ عامّة، وما يكون في عامّة الشِّعر يكون في المقطع، بل إنَّ العناية به تكون أبلغ. من هذا مثلًا قولُ ابن طباطبا (-322هـ): «ولِحُسن الشِّعر وقَبولِ الفهم إيّاه علَّةٌ أخرى، وهي موافقتُه للحال التي يُعَدُّ معناه لها، كالمدح في حال المفاخرة... وكالهجاء في حال مباراة المُهاجَى والحطِّ منه... وكالمراثي في حال جَزَعِ المصاب... وكالتَّحريض على القتال عند الْتِقاء الأقران... فإذا وافقَتْ هذه المعاني هذه الحالات تضاعفَ حُسن موقعها عند مستمِعها»[1]. فهذا القولُ -وأمثالُهُ- يفضي بنا إلى ربطٍ بين الأمرين نكون به على يقينٍ من إدراك النُّقّاد القدماء أنَّ المرادَ مراعاة السّامع وإن لم يصرِّحوا به، ومن أنَّهم إن أغفلوا التَّصريح به في موطنٍ فإنَّه -لا شكَّ- مقصودٌ في ضمائرهم، ومستبطَنٌ في أقوالهم. وبيان هذا أنَّه لا يمكن عقلًا أن يكون المقصود من جعل الاختتام بمعانٍ سارّةٍ فيما تُصِد به التّهاني والمديح، أو بمعانٍ مؤسيةٍ فيما تُصِدَ به التَّعازي والرّثاء، لأجل التهاني والمديح والتّعازي والرّثاء أنفسِها، وإنَّما هي لأجل سامعها وممدوحِها والمُعزّى بها، ولهذا قال ابن طباطبا: «تضاعفَ حُسْنُ موقعها عند مستمِعها».

5- البراعة:

من معانيها التَّمام، والتفوُّق، والجمال، والعلوّ[2]. وهي من الصِّفات العليا التي تضمُّ تحتها صفاتٍ أخرى، ولا تتحقَّق بمقياسٍ واحد، بل لا بدَّ من اجتماع عدّة مقاييس في الشَّيء لتتحقَّق له البراعة.

وقد استعملها البديعيّون مرادفًا للحُسْن، في تسمية أبواب (حُسْن الختام) بـ(براعة المقطع)، كما عند الحلبيِّ والنُّوَيريِّ والتَّفتازانيّ[3]. ولذلك فإنَّ مظاهرها هي مظاهر

1 - عيار الشِّعر، ص 23-24

2 - يُنظر: القاموس المحيط، ص 907، و: لسان العرب، 380/1، مادة (برع)، و: تاج العروس، 317/20-318، ويُنظر: معجم مصطلحات النَّقد العربي القديم، ص 126.

3 - يُنظر: حسن التوسُّل، ص 95، و: نهاية الأرب، 135/7. و: المطوَّل، ص 481.

الحُسْنِ نفسه، كالعذوبة، والإيذان بانتهاء الكلام، ووضوح التَّأليف. وبعضهم يجعل الحسن من مقاييسها كما في قول الحلبيِّ في تعريف (براعة المقطع): «أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسِّل أو الخطيب أو الشَّاعر مُستعذَبًا حسنًا، لتبقى لذَّتُهُ في الأسماع»[1]. وهو القول الذي نقله النُّويريُّ عنه بحرفه[2]. ومقياس البراعة هنا العذوبة والحسن.

وقال الدَّسوقي (–1230هـ) في حاشيته على مختصر السَّعد التفتازاني: «واعلم أنَّ الانتهاء المُؤذِن بانتهاء الكلام يسمّى (براعة المقطع)»[3]. فجعل من صفاتها الإيذان بانتهاء الكلام، وهو من صفات حسن المقطع كما مرّ بنا.

ثانيًا: ما يُحترز منه في المقاطع:

نبّه النُّقّاد القدماء على بعض ما قد يقع في المقاطع من العيوب فيُخلُّ بوظيفتِها الإبداعيّة أو الجماليّة، فذكروا جملةً ممّا يجب الاحتراز منه في المقاطع، طلبًا للامتياز المرجوّ في المقطع، ورغبةً في اجتناب ما ينافيه. ومجمل تنبيهاتهم هي نقائض ما تقدّم طلبه في المقاطع من الصفات المستحسنة، أو مخالفٌ لها. وبعضها يكون من عيوب الأبيات عامّة ممّا يقع في سائر القصيدة ويجب الاحتراز منه، إلّا أنَّ وقوعه في المقطع أشدُّ عيبًا؛ لمكان المقطع من القصيدة[4].

وقد ذكر النُّقَّاد القدماء أمورًا يجب أن يُحترز منها في المقاطع، منها:

1– البَتْر:

هو عَدَمُ إتمامِ القصيدة، وقَطْعُها قبل اكتمال معناها، أو قطعُها بما لا يُشعر بانتهائها. والبترُ ممّا يخالف الإحكام والحسن في المقاطع؛ لأنَّه يترك في نفس السَّامع شوقًا إلى الإتمام لا يناله، ويقطع لذَّته في بلوغ الغاية ممّا يسمع، فيجافي الإحكام والحسن لعدم مراعاتِه جانب السَّامع.

1 – حسن التوسُّل في صناعة الترسُّل، ص 95–96.

2 – يُنظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، 135/7.

3 – شروح التَّلخيص، 544/4 (حاشية الدسوقي على مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح).

4 – يُنظر: المقطع في الشِّعر القديم "دراسة تطبيقية في ديوان الهذليين"، ص 42.

يقول ابن رشيق (–456هـ): «ومن العرب مَن يختم القصيدةَ فيقطعُها والنَّفسُ بها متعلِّقة، وفيها راغبةٌ مشتهِية، ويبقى الكلامُ مبتورًا كأنَّه لم يتعمَّدْ جعلَهُ خاتمةً. كلُّ ذلك رغبةً في أخذ العَفْوِ، وإسقاطِ الكُلْفَة»[1]. ويستشهد لذلك بمقطع معلَّقة امرئ القيس:

كأنَّ سِبَاعًا فيه غَرْقَى غُدَيَّةً بأرْجائِهِ القُصْوَى أنابِيشُ عُنْصُلِ[2]

فإنَّ المعنى ناقصٌ به، والمعلَّقة بهذا البيت لا قاعدة لها، وهي تخالف غيرها من المعلَّقات في ذلك مع أنَّها أفضلُها[3].

2– عدم العناية بالمقطع:

وهذا يشبه سابقه غير أنَّه أدنى منه؛ لأنَّ الشَّاعر فيه يقطع قصيدته لكنَّه لا يعتني بمقطعِها على الوجه الذي ينبغي أن يكون عليه. وفي هذا يقول حازمٌ: «ومن الشُّعراء مَن يأخذ في النَّقيض من هذا، فلا يعتني بالمبدأ ولا المقطع، فيختم كيفما اتَّفق له، ويبدأ كيفما تيسَّر له. ويعتمد هذا مَن يريد إعفاء خاطره، أو من يريد أن يُظهر أنَّه لم يتعمَّد الرَّويَّة والتَّنقيح في كلامه، وإنَّما أخذ الكلام أخذًا اقتضابيًّا على الصُّورة التي عنَّ له فيها أوَّلًا... ليوهمَ بذلك أنَّه أعفى قريحتَه، وأنَّ في قوَّته أن يقول أحسن ممَّا قال»[4]. وقد أرجع حازمٌ عدم العناية هذا إلى إعفاء الشَّاعر خاطره من التَّنقيح والتَّجويد، أو إلى رغبته في أن يُظهر نفسَه للقارئ مقتدرًا على نظم الشِّعر وإن لم

1 – العمدة في صناعة الشِّعر ونقده، 380/1.

2 – ديوان امرئ القيس، ص 26. والبيت فيه ليس مقطع المعلَّقة، وإنَّما بعده بيتان، هما قوله:

على قَطَنٍ بالشَّيْمِ أيْمَنُ صَوْبِهِ وأيسَرُهُ على السِّتارِ فيَذْبُلِ

وألْقَى بِيُسْيانٍ مع اللَّيلِ بَرْكَهُ فأنزَلَ منهُ العُصْمَ من كلِّ مَنْزِلِ

وربَّما يكون هذا من اختلاف الرِّوايات، أو يكون ابن رشيقٍ قد أراد البيتَ الذي ذكره وما بعده جميعًا، فيكون المقطع هنا مكوَّنًا من ثلاثة أبيات. ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ هذه الأبيات الثلاثة لا تختلف من حيث معانيها، فكلُّها في وصف السَّيل الذي جاء به المطر الشَّديد، ووَصْفِ فعلِه، وأوَّلُها كآخرها في ذلك، ولا تشكِّل خاتمةً للقصيدة يُتِمُّ معناها على رأي ابن رشيق.

3 – يُنظر: العمدة في صناعة الشِّعر ونقده، 380/1.

4 – منهاج البلغاء، ص 285–286.

يتكلَّفْه. وانتقادُ حازمٍ مَن لا يعتني بمقطعه يشير إلى وجوب العناية به، وإلى أنَّ طلب التَّحبير فيه مطلوب، وأنَّ إعادة النَّظر فيه ركنٌ[1].

3- القَطْعُ بالدُّعاء:

كره ابن رشيقٍ (-456هـ) أن تُخرَمَ القصائد بالدُّعاء، وعدَّ ذلك من عمل أهل الضَّعْف. لكنَّه استثنى مدائح الملوك؛ لأنَّ الملوك يعجبهم ذلك. ومع هذا فإنَّ الدُّعاء للملوك يجب أن يكون فيه ما فيه من العناية بخِطابهم، والاحترازِ عمَّا يَشينُه فيَسوءُهم. ومن هذا المشين أن يبدأ المتكلِّم دعاءه بما يُشعِر بالذَّمِّ أو الدُّعاء بنقصٍ أو عيبٍ أو عجز، ثم يُتمِّمه بخير؛ فإنَّ هذا الدُّعاء تنفر النَّفس منه في أوَّله، ولا يكون في آخره إرضاءٌ لها يَجُبُّ ما قبله، فيبقى فيه من القبح والشَّناعة أثر. ومثاله أن يقول أحدُهم: (لا صبَّح الله الأميرَ بعافيةٍ)، ويسكت، ثمَّ يقول: (إلّا مَسّاهُ بأكثرَ منها)، أو يقول: (لا مَسَّى اللهُ الأميرَ بنعمةٍ)، ويسكت، ثمَّ يقول: (إلّا وصبَّحَهُ بأتمَّ منها). فكأنَّه لا يدعو له بشيءٍ إلّا من بعد أن يدعو عليه[2].

وتمثَّل ابن رشيقٍ لهذا بمقطع قصيدةٍ لأبي الطَّيِّب المتنبِّي:

فلا هَجَمْتَ بِها إلّا عَلَى ظَفَرٍ ولا وَصَلْتَ بِها إلا على أمَلِ[3]

ورأى أنَّ مثلَه لا يليق أن يقال للملوك، ولا سيَّما من مثل أبي الطَّيِّب[4].

ونبّه على هذا أيضًا حازم القرطاجنّيّ (-684هـ) وحذَّر منه لخطره؛ إذ قال في جملة ما يجب أن يتحرَّز منه في المقاطع: «وكذلك يُتحفَّظُ في أوَّل البيت الواقع مقطعًا للقصيدة من كلِّ ما يُكرَه، ولو ظاهرُه، وما يُوهِمُهُ دلالة العبارة أوَّلًا وإن رفعت الإيهام آخِرًا ودلَّت على معنًى حسن»[5]. واستشهد بمقطع المتنبِّي هذا نفسِه[6]،

1 - يُنظر: المقطع في الشِّعر القديم "دراسة تطبيقية في ديوان الهذليين"، ص 46.

2 - يُنظر: العمدة في صناعة الشِّعر ونقده، 381/1.

3 - شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، 170/3.

4 - يُنظر: العمدة في صناعة الشِّعر ونقده، 381/1.

5 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 285.

6 - شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، 170/3. ورواية البيت في (منهاج البلغاء): «فلا بلغتَ»، بدلًا بدلًا من «فلا هجَمتَ». لكنَّ هذا لا يؤثِّر على الاستشهاد بالبيت؛ لأنَّ وجه الاستشهاد فيه الابتداءُ بمكروه، وهو

والمكروه في هذا المقطع بَدْؤه بما يُشعر بالدُّعاء على المخاطب، لا له، وإن كان آخرُ العبارة يُزيل هذا الإبهام أو اللَّبس.

4- تدافع المعاني:

وهو أن يأتي الشَّاعر بمعنًى، ثمَّ يأتي بمعنًى آخر يدفعه أو يسوق إلى ضدِّه مباشرة، أو يسوق إلى شيءٍ له مناسبةٌ لضِدّه. ولا سيَّما في الجهات التي تتعلَّق بالانفعالات والأحوال وغيرها في التهنئة والتعزية والمديح والهجاء، فإنّه يجب الاحتراز من وقوع التدافع فيها؛ لأنه قد يخرج بها إلى الضِّدِّ في هذه الحالات التي تكون فيها النَّفس في أعلى درجات الاستعداد والقبول لسماع ما يُلقى عليها من المدح أو الذمّ أو التعزية. وفي هذا من القبح ما فيه، ولا سيّما إذا كان مقطعَ الكلام؛ لأنّ السامع عند قطع الكلام يراجع ما مرَّ على سمعه ويتفقّده سريعًا، وما وقع من الكلام في المقطع يكون «أقرب عهدًا به، وهو أشدُّ ارتسامًا فيه»[1].

واستشهد حازمٌ القرطاجنّيُّ للمقطع الذي وقع فيه تدافعٌ بقول أبي نواسٍ في آخر قصيدةٍ له في تهنئة الفضلِ بن يحيى البرمكيّ:

سلامٌ على الدُّنيا إذا ما فُقِدْتُمُ ... بني بَرْمَكٍ من رائحينَ وغادِ[2]

فإنَّ ذِكْرَ معنى الفَقْد هنا -وإن كان غير مقصود لذاته، بل لِما تعلَّق به من حزنٍ على فقدان بني بَرْمَك- غير موفَّق؛ لأنَّه دافَعَ ما قبله من معاني التَّهنئة فأتى عليها، فَكَرِهَ الفضل بن يحيى ما سمع، واستحكمت كراهَتُهُ من هذا المعنى لوقوعِه مقطعًا للقصيدة[3]، بل إنّ حازمًا ذكر أنَّ هذا القبح كان نذير شؤمٍ على الفضل، فنُكب

حاصلٌ في نفي معنى اللَّفظَين، هذا وذاك.

1 - منهاج البلغاء، ص 151.

2 - ديوان أبي نواس، ص 268.

3 - أشار محقّق (منهاج البلغاء) في الحاشية إلى أنَّ هذا البيت لم يكن آخر القصيدة، بل إنَّ بعده أربعة أبيات، استنادًا إلى طبعتين لديوان أبي نواس: أولاهما طبعة التقدّم، بالقاهرة، ص 126-127، والثانية طبعة أحمد عبد المجيد غزالي، بالقاهرة، سنة 1953م، ص 471. والأمر كذلك في طبعاتٍ أخرى لديوان أبي نواس، منها طبعة محمود أفندي واصف، بالمطبعة العمومية بمصر، 1898م، ص 74، وطبعة محمود كامل فريد، بالمكتبة التجاريَّة الكبرى بمصر، 1937م، ص 152، وطبعة محمّد أنيس مُهرات، بدار مُهرات للعلوم، بحمص، 2009، ص 268، وغيرها. غير أنَّ هذا لا ينفي ما بناه حازم من استشهاد على هذا البيت في هذا الموطن؛

هو وقومه بعد أسبوع[1]. لهذا وأمثاله وجبت العناية بمقاطع الكلام أنّى وقعت، في شعر أو نثر.

5- فساد اللَّفظ أو المعنى:

وهذا ممّا يُكره في المواطن كلِّها، إلّا أنَّه في المقطع أشدُّ كراهة؛ لأنَّ اللَّفظ والمعنى الفاسدين يخالفان الإحكام، ويدلّان على سُقْمِ الذَّوق وقلَّة الحيلة، ويُذهبان ما ينبغي أن يكون في الشِّعر من رونق وأَلْق، ولا سيَّما من المبرِّزين فيه. وممّا جاء من المقاطع على مثل هذا مقطعٌ للبحتريِّ يقول فيه:

وَكَـأَنَّ شَـاهِرَهُ إذا استَعْصَـى بِـهِ ... في الرَّوعِ يَعْصَى بِالسِّماكِ الأَعزَلِ

حَمَلَـتْ حَمائِلُـهُ القَديمَـةُ بَقْلَـةً ... مِن عَهدِ عادٍ غَضَّـةً لَم تَذبُلِ[2]

فقد عاب الباقلّانيُّ (-403هـ) على البحتريِّ أن أتى فيه بما لا يُستحسن من المعاني، ومن تشبيهات العامّة، وقال: «انظر إلى هذا المقطع الذي هو بالعِيِّ أشبهُ منه بالفصاحة، وإلى اللُّكْنة أقربُ منه إلى البَراعة. وقد بيَّنَّا أنَّ مراعاة الفواتح والخواتم، والمطالع والمقاطع... ممَّا لا بدَّ منه، وأنَّ الإخلال بذلك يُخِلُّ بالنَّظْم، ويُذهب رَونَقه، ويُحيل بهجته، ويأخُذ ماءَه وبهاءَه»[3].

ويدخل في هذا ما يكون من المقاطع مُوهِمًا بفساد المعنى، أو قابلًا لتأويلٍ فاسد. فقد قال أسامة في صدر (باب الأواخر والمقاطع): «وينبغي أن يتحرَّز الشَّاعرُ فيها مما يُتأوَّل عليه، ويَؤُول أمرُهُ إليه»[4].

وقد حذَّر حازمٌ أيضًا من مثل هذا، فقال فيما يجب في المقاطع: «وأن يُتحرَّز فيها من قطع الكلام على لفظٍ كريهٍ أو معنًى منفِّرٍ للنَّفس عمّا تَصَدْتَ إمالتَها إليه، أو مُميلٍ لها إلى ما تَصَدْتَ تنفِّرُها عنه»[5]. ويقول في ذلك أيضًا: «فأمَّا من جهة وقوعِ

لأنّه كان يظنّه آخر القصيدة، أو أنَّه كان آخرها فعلًا فيما كان في ديوان أبي نواس في ذلك الزَّمان.

1 - ينظر: منهاج البلغاء، ص 149.

2 - ديوان البحتري، ص 1752.

3 - إعجاز القرآن، ص 240-241.

4 - البديع في نقد الشعر، ص 286.

5 - منهاج البلغاء، ص 285.

لفظٍ مكروهٍ، أو معنًى مشنوءٍ، في منقطع الكلام، فالرَّأي فيه واحدٌ في أنَّ التَّحفُّظ منه واجبٌ على كلِّ ناظمٍ وناثر»[1].

الخاتمة والنتائج

أظهر لنا هذا البحث أنّ النقّاد القدماء كانوا على عنايةٍ بأمر مقاطع القصائد، وأنّهم في جملة هذه العناية ذكروا صفاتٍ مستحسنةً فيها وأمورًا يجب الاحتراز منها، وكان من الصّفات المستحسنة: الجودة، والإحكام، والحلاوة، والحُسن، والبراعة، وممّا ينبغي أن يُحترَز منه في المقاطع: البترُ، وعدم العناية، والقطع بالدُّعاء، وتدافُع المعاني، وفسادُ اللفظ أو المعنى. وهم في ذكرهم الأمرين يصدرون عن إدراكٍ لمنزلة المقطع من القصيدة، فهو قاعدة القصيدة عندهم، كما يصدرون عن مراعاةٍ واضحةٍ للمخاطَب، إذ إنّ المقطع هو آخر ما يبقى في الأسماع من القصيدة، ولهذا يجب العناية به، والاحتراز ممّا يسوءُه.

كما أظهر البحث أنَّ القدماء اعتنَوْا بالمقطع هذه العناية، واهتمّوا له هذا الاهتمام، فذكروا له هذه الصِّفات والمُحتَرَزات؛ رغبةً منهم في أن يكون ممتازًا عن غيره من أجزاء القصيدة، في لفظه ومعناه وبنائه، وفي ارتباطه بما قبله ودلالته عليه، وفي تحقيقه تمام الإبداع والتلقّي، وتحقيق الغاية الجماليَّة للإبداع الأدبيّ عامّة، وهي السَّيرورة والخلود.

1 – منهاج البلغاء، ص 308–309.

المصادر والمراجع

1. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلّاني، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط 5، د. ت، تاريخ مقدّمة الطبعة الأولى 1954م.
2. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1371هـ/ 1952م.
3. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح: محمّد عبد المنعم خفاجي. دار الكتاب اللبناني، ط 6، 1405هـ/ 1985م.
4. البديع في نقد الشِّعر، أسامة بن منقذ. تح: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة – الإقليم الجنوبي، ط مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1380هـ/ 1960م.
5. بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تح: حفني محمد شرف، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ المقدّمة 1957م.
6. البيان والتبيين، أبو عثمان، عمرو بن بحرٍ الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ-1998م.
7. تاج العروس من جواهر القاموس، السيّد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، الجزء 7، تح: عبد الستار أحمد فرّاج وآخرون، مطبعة حكومة الكويت ووزارة الإعلام، الكويت، بين الأعوام 1385هـ/ 1965م و 1422هـ/ 2001م.
8. تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري، تح: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجمهورية العربية المتّحدة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكتاب الثاني، 1963م.
9. التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمّد بن عبد الرحمن القزويني، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت، ط 2، 1932م.
10. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير، تح: د. مصطفى جواد ود. جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1375هـ/ 1956م.

11.حسن التوسُّل في صناعة الترسُّل، شهاب الدّين الحلبي. مطبعة أمين أفندي هندية، مصر، 1315هـ.
12.ديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التّبريزي، تحق: محمّد عبده عزّام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، د. ت.
13.ديوان أبي نواس، شرح وتحقيق: محمّد أنيس مُهرات، دار مُهرات للعلوم، حمص، سورية، 2009م.
14.ديوان امرئ القيس، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط 5، د.ت.
15.ديوان البحتري، تح: حسن كامل الصَّيرفي، دار المعارف، مصر، ط 3، د.ت.
16.ديوان تأبَّطَ شرًّا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1419هـ/ 1999م.
17.الرِّسالة المُوْضِحة في ذكر سرقات أبي الطيِّب وساقطِ شِعره، الحاتميّ، محمد بن الحسن. تح: محمد يوسف نجم، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1385هـ/1965م.
18.شرح التلخيص، أكمل الدين، محمّد بن محمّد بن محمود بن أحمد البابرتي، تح: محمد مصطفى رمضان صوفيّة، المنشأة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط 1، 1983م.
19.شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1986م.
20.شروح التَّلخيص، (التفتازاني والمغربي والسُّبكي)، مؤسسة دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، 1412هـ/ 1992م.
21.شعر الشَّنفرى الأزديّ، تحقيق ودراسة: أحمد محمّد عبيد. المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط 1، 1421هـ/2000م.

22.شعر عبد الله بن الزِّبعرى، تح: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1981م.
23.الطراز، المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف بمصر، 1332هـ/ 1914م.
24.العمدة في صناعة الشِّعر ونقده، ابن رشيق القيرواني. تح: النَّبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1420هـ/ 2000م.
25.عيار الشِّعر، ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي، تح: عبد العزيز بن ناصر المانع، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2005م.
26.القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرِّسالة، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، ط 1، 1406هـ/ 1986م.
27.كتاب الدّيباج، أبو عبيدة، تح: عبد الله الجربوع وعبد الرحمن العثيمين، مطبعة المدني، القاهرة، ط 1، 1991م.
28.كتاب الصّناعتين: الكتابة والشّعر، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط 2، د.ت.
29.كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، ضياء الدّين ابن الأثير، تح: نوري القيسي وحاتم الضامن وهلال ناجي، مديرية دار الكتب، جامعة الموصل، 1982م.
30.لسان العرب، ابن منظور، عناية: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التاريخ الإسلامي، بيروت، ط3، 1419هـ/ 1999م.
31.المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن النّاظم، بدر الدّين، محمّد بن محمّد بن مالك، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، 1989م.

32.المصطلح النَّقدي في (نقد الشِّعر) "دراسة لغويّة، تاريخيّة، نقديّة"، إدريس الناقوري، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط 2، 1394هـ/ 1984م.

33.معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، دار المنارة، جدّة، ودار الرفاعي، الرياض، ط 3، 1408هـ/ 1988م.

34.المعجم الوسيط، مجمع اللُّغة العربيَّة، القاهرة، مكتبة النُّوري، دمشق، ط 3، د.ت.

35.معجم مصطلحات النقد العربيّ القديم، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 2001م.

36.المقطع في الشِّعر القديم "دراسة تطبيقية في ديوان الهذليين"، أفراح بنت عقيل اللّحياني، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، 1432-14333هـ/ 2011-2012م.

37.منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنّي، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط 3، د. ت.

38.الموازنة بين أبي تمّام والبحتري، الحسن بن بشر الآمدي، الجزءان الأوّل والثاني، تح: السيّد أحمد صقر، دار المعارف، ط 4، بلا تاريخ.

39.نقد الشّعر، قدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 1962م.

40.نهاية الأرب في فنون الأدب، النُّويريُّ، شهاب الدّين، أحمد بن عبد الوهّاب. نسخة مصوَّرة عن طبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة، 1347هـ/1929م.

41.الوساطة بين المتنبّي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط 3، 1966.